ان استعراض بعض مواد الصك يؤكد ان الغاية من الانتداب البريطاني على فلسطين انما تنحصر في الاعداد لانشاء «الوطن القومي اليهودي» فيها، كنقطة انطلاق لقيام «دولة اسرائيل». فقد جاء في المادة الثانية من الصك: «تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في احوال سياسية وادارية واقتصادية تضمن انشاء الوطن القومي اليهودي». وجاء في المادة الثالثة: «يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لاسداء المشورة الى ادارة فلسطين والتعاون معها في انشاء الوطن القومي اليهودي». وتشير المادة السادسة الى تسهيل الهجرة اليهودية الى فلسطين، والى حشد المهاجرين في الاراضي الاميرية والاراضي الموات. وتنص المادة السابعة على تسهيل اكتساب المهاجرين اليهود الجنسية الفلسطينية. اما المادة الثانية والعشرون، فتنص على اعتبار العبرية لغة رسمية الى جانب اللغتين، العربية والانكليزية[٣].

لعلَّ هذه المواد كافية، وحدها، لاسقاط القناع عن الوجه البريطاني المخادع الذي تعمد التضليل، والذي برع في صوغ وعد بلفور بشكل غامض، محتوياً ازدواجية، بالنسبة الى اليهود والعرب، غير قابلة للتطبيق إلّا في شق واحد وهو القائم على تحقيق «الوطن القومي اليهودي» والتجاهل التام للجانب الفلسطيني العربي الآخر. على ان هذا التضليل لم يكن لينطلي على الشعب الفلسطيني منذ البداية، خلافاً للانظمة التي اقامتها بريطانيا بجوار فلسطين والتي تعامت، مقابل اكتساب العروش، عن السياسة البريطانية الهادفة الى تشييد الوطن القومي اليهودي كمقدمة لدولة اسرائيل. فلقد عبّر الشعب العربي الفلسطيني، عبر انتفاضاته المتعددة، عن ادراك لنوايا بريطانيا والحركة الصهيونية في السعي لتهويد فلسطين، ودفع غالياً في هذه الانتفاضات. فلم يركن الى النوايا البريطانية، ولم يطمئن الى سياسة الخداع والتضليل والتعمية.

الوعي القومي والتصدي للتآمر المزدوج

انطوى الانتداب البريطاني على هدفين بقصد تنفيذ احكام المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم. وثمة حكمان من احكام تلك المادة تبرز اهميتها، وهما: اولاً، النص على ان رفاهية وتقدم شعوب الاقاليم الموضوعة تحت الانتداب امانة مقدسة في عنق الحضارة؛ وثانياً: النص على ان وجود شعب فلسطين كأمة مستقلة قد اعترف به مؤقتاً، باعتباره احد الشعوب المنفصلة عن تركيا. ومن ناحية اخرى، فان الانتداب على فلسطين ألزم دولة الانتداب كذلك بان تضع، موضع التنفيذ، التصريح الذي أصدر بتاريخ الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧، اي وعد بلفور، بمعرفة الحكومة البريطانية، بغية ان ينشأ في فلسطين وطن قومي للشعب اليهودي، على ان يكون من المفهوم، بصفة واضحة، انه لن يتم شيء من شأنه ان يخل بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية الموجودة في فلسطين، او بما يتمتع به اليهود في اي بلد آخر من حقوق ووضع سياسي[٤].

يبدو واضحاً التعارض بشأن مستقبل فلسطين من خلال صك الانتداب المتضمن وعد بلفور؛ اذ لا يمكن لبريطانيا ان تقيم «الوطن القومي اليهودي»، وان تطبق المادة ٢٢ من ميثاق عصبة الامم التي تضمنت اقراراً بأن وجود شعب فلسطين كأمة مستقلة باعتباره احد الشعوب المنفصلة عن تركيا.

ولم يكن كتاب هوغارت الذي وجهته الحكومة البريطانية الى شريف مكة في كانون الثاني